

نصر تموز: هل له مدّة صلاحية أم أنه أبديّ الأجل؟



يمارس حزب الله مقاومة شاملة ضد جميع اهداف العدو (هيلم الموسوي)

كانت جزءاً أساسياً من طرق التعامل مع خسارة العدو الفادحة. وقد حاول آل سعود أن يسعف العدو بكل ما أوتي من قوة ضح للكرهية الدينية.

لكن للانتصارات، مهما كبرت، مدد صلاحية، وأجالها ليست لانهائية، إلا في حالات تتحقق فيها كل اهداف الحركة الثورية أو التحررية. بحق للشعب الجزائري أن يفخر دوماً، وأبداً، بثورته التي قاومت أعند استعمار غربي، وطردته بالكامل رغم وحشية الإصرار الفرنسي لأكثر من قرن من الزمن على الاستيطان والاحتلال. كما أن نصر الاتحاد السوفياتي ضد ألمانيا النازية كان كبيراً رغم جسامه التضحيات. ونصر الشعب الفيتنامي ضد استعمارين متلاحقين يستحق أن تزهو به الشعوب، وأن تستلهم منه العظمت الوطنية. لكن هناك انتصارات ذات مدد محدودة بحكم الظروف التي حصلت فيها، وبمحدودية آجال الإنجاز العسكري.

يمكن الاستدلال بـ«نصر أكتوبر»، مثلاً. لم تكن حرب 1973 نصراً عربياً كما رُوّجت الأنظمة العربية بقصد الإعفاء من المسؤوليات المترتبة على مهام المقاومة والتحرير وصدّ العدوان. إن حرب أكتوبر كانت نصراً أكيداً في الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى فقط، إذ أن الجسر الأمريكي الجوي وتعبئة الاحتياط، وتزويد عميل «الموساد» أشرف مروان (يوكد الكتاب الجديد عنه، بعنوان «الملاك: الجاسوس المصري الذي أنقذ إسرائيل» ليوري بار- جوزيف أن تجسس مروان بدأ في المرحلة الساداتية، وليس في المرحلة الناصرية، لكن سامي شرف يتحمّل مسؤولية تسلّم مروان مسؤوليات في مكتب يتعاطى مع أسرار استخباراتية للحكومة المصرية)، وغباء وتخاذل وتأمّر أنور السادات قلبت المعادلة، وحوّلت الهزيمة الأولية للعدوّ إلى نصر أكيد، على الجبهتين المصرية والسورية. والحرب هذه لم تكن، عند القيادتين السورية والمصرية، حرباً شاملة لهزيمة العدو الإسرائيلي، لأن اعتبار الحفاظ على النظام ساد فوق أي اعتبار عند القيادتين.

لكن الحرب كانت ضرورة سياسية للحفاظ على العرشين. واستقى النظامان، على مرّ عقود طويلة، شرعية سياسية لم يستحقّانها من هذه الحرب، وبسببها: أنفق السادات شرعية الحرب على الاستسلام مع العدو الإسرائيلي، فيما أنفق النظام السوري شرعية الحرب لتجنّب خوض حرب أخرى لتحرير الجولان، وإلخراس أية معارضة داخلية للنظام (لأن النظام كان دائماً - حسب زعمه - منهماكاً في التحضير لمعركة لم تأت). وياسر عرفات

بقي حتى سنوات أو سلو يستعين بمعركة «الكرامة»، من أجل تسوية اتفاقيات الاستسلام مع العدو. ليس هناك من دلائل أن حزب الله يودّ تصريف نصر تموز لغايات لا تتعلق بالصراع مع العدو، لكن شرعية نصر تموز محدودة، ولا تتعلق أبداً بالحرب السورية أو بمواقف الحزب الداخلية في لبنان. من حق الحزب أن يحتفل بنصر تموز وأن يزهو، ومن حقه إشراك العرب جميعاً في أسرار تلك الحرب، وفي ظروف إتقان المواجهة مع العدو الشرس. إن طمس حقيقة نصر تموز في الإعلام العربي (لأهداف سياسية وطائفية، وبأمر من طغاة الخليج وأوامر رعائهم في تل أبيب وواشنطن)، حجب الكثير من الحقائق عن الأهمية الاستراتيجية للمواجهة. ومن واجب الرأي العام العربي، المنتعج لمجريات الصراع العربي - الإسرائيلي أن يتعلم

بقية حتى سنوات أو سلو يستعين بمعركة «الكرامة»، من أجل تسوية اتفاقيات الاستسلام مع العدو. ليس هناك من دلائل أن حزب الله يودّ تصريف نصر تموز لغايات لا تتعلق بالصراع مع العدو، لكن شرعية نصر تموز محدودة، ولا تتعلق أبداً بالحرب السورية أو بمواقف الحزب الداخلية في لبنان. من حق الحزب أن يحتفل بنصر تموز وأن يزهو، ومن حقه إشراك العرب جميعاً في أسرار تلك الحرب، وفي ظروف إتقان المواجهة مع العدو الشرس. إن طمس حقيقة نصر تموز في الإعلام العربي (لأهداف سياسية وطائفية، وبأمر من طغاة الخليج وأوامر رعائهم في تل أبيب وواشنطن)، حجب الكثير من الحقائق عن الأهمية الاستراتيجية للمواجهة. ومن واجب الرأي العام العربي، المنتعج لمجريات الصراع العربي - الإسرائيلي أن يتعلم

بقية حتى سنوات أو سلو يستعين بمعركة «الكرامة»، من أجل تسوية اتفاقيات الاستسلام مع العدو. ليس هناك من دلائل أن حزب الله يودّ تصريف نصر تموز لغايات لا تتعلق بالصراع مع العدو، لكن شرعية نصر تموز محدودة، ولا تتعلق أبداً بالحرب السورية أو بمواقف الحزب الداخلية في لبنان. من حق الحزب أن يحتفل بنصر تموز وأن يزهو، ومن حقه إشراك العرب جميعاً في أسرار تلك الحرب، وفي ظروف إتقان المواجهة مع العدو الشرس. إن طمس حقيقة نصر تموز في الإعلام العربي (لأهداف سياسية وطائفية، وبأمر من طغاة الخليج وأوامر رعائهم في تل أبيب وواشنطن)، حجب الكثير من الحقائق عن الأهمية الاستراتيجية للمواجهة. ومن واجب الرأي العام العربي، المنتعج لمجريات الصراع العربي - الإسرائيلي أن يتعلم

عبر التاريخ، لن يسمح لأي كان بالتدخل في شأن مقاومة العدو الإسرائيلي، أو في التعكير على تلك المقاومة. لم يكن الحزب حازماً في هذا الشأن. ومن المتعارف عليه أن المقاومات، التي تحزّر الأرض، هي التي ترث الأرض من المحتل. لم يستول الحزب على السلطة، لحسن الحظ، وتركيبته الطائفية وعقيدته الدينية المترنمة، لا يمكن أن تسود في بلد مثل لبنان، ولا يجب أن تسود. بل أن الحزب استنكف عن المشاركة في السلطة، إلى أن وقع في فخ رسمه له أعداؤه بعد اغتيال الحريري، من أجل أن يشارك بالسلطة كي يقع في وحولها ويصيبه ما يصيب أهلها من نقمة واحتجاج ولؤم مُبَرَّر. واغتيال الحريري سهل مهمة فريق الذي كان يعمل منذ التسعينيات من أجل تسليم سيادة لبنان لإسرائيل وأميركا (والنظام السوري). وفي محاولة لتسريح احتلال إسرائيلي، أفتى فريق 14 آذار بأحقية احتلال العدو لمزارع شبعا (وتلال كفر شوبا، لو أراد)، لأن لبنان مستعد أن يسلم له به تحقيقاً للوئام والسلام (وهناك من طلع في تل أبيب بأن المزارع سورية، وأنه بناء على ذلك فمن حق إسرائيل التمتع بها - وردد ذلك القول ببغائتو العدو في لبنان).

كما أن فريق 14 آذار استدرج الحزب إلى مناقشة الاستراتيجية الدفاعية، مع أمثال بطرس حرب وأمين الجميل وسمير ججع، ربيب التدخل الإسرائيلي في لبنان. كما أن الحزب سمح لميشال سليمان بإطلاق توليفة «الجيش - الشعب - المقاومة» الزائفة، وهي قائمة على التديس. كان على الحزب أن ينتنخج ليعترض على محاولة سليمان نشر ونثر رصيد المقاومة على الجميع، وهذا ما سمح للبعض بتعمية معنى المقاومة، حتى أصبح شي الكتاب مقاومة، ولللقاء بين الجيش اللبناني وجيش العدو في الناقورة مقاومة، وإقامة مهرجانات المناطق مقاومة، والكل أصبح مقاومة، حتى هؤلاء الذين كانوا يهفتون لجيش العدو في سنوات احتلاله.

إن مهمة الحزب، لو أراد أن يستمر كحركة مقاومة، تتطلب منه إصدار موقف واضح في مهامه كحركة مقاومة في مواجهة العدو الإسرائيلي. ولا يستطيع الحزب أن يستعين برصيده من الشرعية السياسية التي استقاها من المقاومة في تدخله العسكري في سوريا (والذي بدأ بشعار حماية المزارات الدينية). من حق الحزب أن يقرّر مواقفه من مختلف الدول، ومن حقه أن يتدخل في هذا الشأن أو ذلك، لكن لا يستطيع أن يُفّتح كل مؤيدي ومؤيدات

من دورس تلك الحرب (وأن يزور متحف «مليتا» المجيد، لكسب المزيد من الدلائل عن إتقان المقاومة للمقاومة). غير أن الحزب أمام مفصل تاريخي، بعد عقد من الزمن، من تلك المواجهة.

لم تعد استراتيجية حزب الله في مواجهة العدو الإسرائيلي واضحة. كان الحزب في موقف جلي، في كل سنوات الصراع مع إسرائيل بعد اجتياح 1982. وبعد انطلاقته، يمارس المقاومة الشاملة ضد جميع اهداف العدو، في داخل لبنان وأحياناً خارجه، بعنوان تحرير لبنان من احتلال إسرائيل. ومن فضائل المقاومة في ذلك الحين أنها لم تكن تولى أولوية المقاومة على أي أولوية أخرى، مما أدى إلى اصطدامها بالنظام السوري حيناً، أو بالفرقاء اللبنانيين حيناً آخر (خصوصاً فريق الحريري الذي كان يتوق منذ أول يوم لوصوله إلى السلطة في لبنان، مدعوماً من المخابرات السورية والسعودية على حد سواء، إلى السلام الشامل مع العدو الإسرائيلي. وكان الحريري لا يفهم كيف أن أرض الجنوب المحتل يمكن أن تعكّر عليه مشاريع البناء والخدمات لأثرياء لبنان والخليج).

شعرت المقاومة بإحراج غير مُبرَّر بعد تحرير معظم الجنوب في عام 2000. فقد أخطأت على أكثر من صعيد: 1- لم تتعامل مع عملاء العدو الإرهابيين بما يجب من قسوة وحزم (وليس ذلك بهدف الاقتصاد فقط، وإنما لردع من تساوره رغبات مستقبليّة في خدمة إرهاب العدو، أو التجسس لحسابه).

2- لم يوضح الحزب للرأي العام حقيقة دور سلاحه وأهميته، واكتفى بالحديث عن مزارع شبعا، ما أدى إلى تدخل الأمم المتحدة، بشخص مندوب إسرائيل (غير الرسمي)، تيري رود لارسن، من أجل حماية احتلال إسرائيل مما تبقى من لبنان. والأنكى أن هناك في لبنان من صدّق أن الأمم المتحدة تستطيع أن تفتي في النزاعات الحدودية بين الدول، وأن الأمم المتحدة تستطيع أن تحدد ما إذا كانت إسرائيل في انسحابها الدليل قد التزمت بالقرار 425 (كان العدو انسحب بذل من لبنان احتراماً لقرارات الأمم المتحدة، وليس هرباً من مطاردة المقاومة لجنود العدو ومراكزه في كل لبنان).

3- لم يشرح الحزب بشكل كافٍ للرأي العام حقيقة الإنجاز الكبير.

4- تواضع الحزب جداً في التعامل مع نصره مما وسع من شهية أعدائه: كان عليه أن يشرح أنه، وإن لم ينو الاستيلاء على السلطة كما تفعل حركات المقاومة